

عز الدين شهيداً

بقلم: ياسر عرفات

"بل أحياء عند ربهم يرزقون"

صدق الله العظيم

هي عقيدة قناعة وتراث

تاريخ وتواصل ومستقبل

يطمئن بها قلب الشيخ والأم بل ويفرحان...

وتشتد بها عزائم الأخ والرفيق والصديق. فيواصلون...

وتعيش بها القضية حكايات بطولة تروى للأجيال

وعلامات طريق للعودة والانتصار وإجابة على كل سؤال

نحن لا نقول ... كان

هم بنيان تعاهدنا على أرض أحببناها كما يحب

كل الناس أرضهم...

هم سبقوا ونحن على الطريق

صفحة لا تطوى وقافلة لا تتوقف

من عز الدين إلى عز الدين

من عز القسم... إلى عز الدين القلق

القضية واحدة والجوهر واحد والطريق واحد والاسم واحد

... بل أن الصفات نفسها واحدة...

كلاهما آمن بالأرض والحرية وبسطاء الناس

سمعنا وقرأنا عن القسام وعشنا وعملنا مع القلق

وعز الدين القسام بالآلاف

إنه تاريخ وتواصل ومستقبل

هل يمكن إذن الحديث عن عز الدين واحد

أبدا

فعر الدين ليس واحد

حياته حياة عز الدين هي حياة شعب أجبر على الخروج من أرضه ولد في النكبة
وتعلم في المخيم قصة القسام ورفاقه وحكاية الأرض والزيتون ومزج الدراسة بالعمل حتى يمكنه
أن يعيش

فتفوق وتحسس في جراحه ومعاناته آلام شعبه العربي الفلسطيني ورأى في تشتت هذا الشعب
تمزق الأمة العربية كلها

تسلح بالوعي وبالعلم وبتقنة جعلت وجهه باسماء على الدوام

وقناعة جعلته جنديا لا يعرف المستحيل...

عز الدين يعرف أن القضية ليست سهلة...

المستعمرون مزجوا اغتصابهم لفلسطين بعنصرية ومتعصبة بعضها مفضوح وكثير منها مقنع
ثم هم شنتوا شعبها وقسموا ما حولها ليضمنوا استمرار اغتصابها

ويلتحق عز الدين بالقافلة

في "فتح" يتعلم عز الدين أن القضية ملك للجماهير والبندقية أيضا

في "فتح" يتعلم عز الدين أن الثورة وحدة وطنية وأن الوحدة الوطنية افتاح على الإنسانية فيؤمن
بفلسطين ديمقراطية

وتتلخص الدروس في كلمات:

البنادق كل البنادق نحو العدو الصهيوني

والوحدة كل الوحدة ضد العدو الصهيوني

وكل شيء من أجل القضية
والقضية هي فلسطين

ويتعلم عز الدين أن اختلاف الآراء وتتنوع الاجتهادات قوة طالما كانت تتجه
نحو فلسطين وفي سبيلها... فيؤمن بالحوار الديمقراطي.
ويتعلم أن البندقية الأجيبة ليست بندقية الفقراء، فيؤمن بالاعتماد على الذات
وبالقتال دفاعاً عن حرية إرادة الثوار...

وعندما يصبح عز الدين مسؤولاً عن إطار منظمة التحرير الفلسطينية يعرف ابن "فتح"
أنه الأخ الأكبر يوحد من هم بداخلها،
ومن هم حولها، ويجمع حلفاءها وأصدقاءها

ويقدم عز الدين حياته آلاف المرات في آلاف الأماكن في آلاف المعارك...
في حدود فلسطين وهو يعبر.

في السجون والمعتقلات وهو يعذب على أيدي الصهاينة والفاشست
على أرض فلسطين التي أحبها وتمسك بها يقنتل فوق ترابها معلنا أنها له
في المخيمات عندما تقصفها طائرات العدو الصهيوني لا تميز بين طفل وامرأة وشيخ ومقاتل

في الجبال والمدن المحيطة بفلسطين يدافع عن استقلال إرادة الثوار واستمرار القتال
في عواصم العالم على اختلافها وهو يصل الليل بالنهار لكي يشرح عدالة قضيته ويفضح
عنصرية أعدائه وفاشيتهم، ويوصل أصوات الذين هم في شتات المخيمات تحت
ظل الاحتلال وفي غياهب معسكرات الاعتقال

وتتقدم القافلة وتتشعب الساحات وتتعد المهاد،

ولكن الأمر ليس صعباً... على من يقدم حياته كلها...

ويعلو صوت الثورة في العالم كله ويسمع الذين لم يكونوا يسمعون.

وتتفتح آذان وعيون وصت الحق يعلو وينتصر... ويقدم عز الدين حياته

يعتصرنا ألم الفراق، ويتضاعف الألم أن يكون الرحيل بيد الغدر والعمالة

وأن تكون الخسارة، خسارة عز الدين...

ويقدم الآلاف والآلاف، وينتشر اسم الشهيد كما ينتشر
أريج برتقال فلسطين، وتضيء حكايته كما يضيء زيتونها،
وتتواصل المسيرة مع الثورة حتى النصر